لمصلحة الثورة ، وعندها يصبح التفوق العربي العددي قابلاً للقفز نحو صفة نوعية ، قادرة على تجاوز القوة التي يتمتعبها الخصم القليل العدد بسبب تفوقه التقني الراهن . عندها تستنهض الملايين العربية الكادحة صاحبة المصلحة الاكثر الحاحاً في تقويض الاحتلال وهزيمة الامبريالية وقطع اذرعتها الممتدة خارج الارض المحتلة :

● ان قوة العدو العسكرية التي يستمدها من صغر المساحة التي يناور على خطوطها تنقلب الى ضعف ، اذ يتحول مجموع وجوده الى معسكر قمعي ، او مجرد ثكنة مطوقة من كل جانب وتضرب من كل جانب .

● ان قدرته المتفوقة في استنفار قواه الذاتية واستجرار التأييد والدعم الامبريالي لها تنقلب الى عملية انتحارية أمام استنفار اكثر ضخامة للملايين العربية .

● ان قدرته في حسم المعارك بواسطة ذراعه النظامية الضاربة تنقلب الى تناقض قاتل امام الحرب الشعبية الطويلة الامد التي تعمق طريقها كل ضربة عسكرية يقوم بها .

اذا نظرنا الى المقاومة الفلسطينية ،في وضعها الراهن من خلال هذا الافق الستراتيجي لا تضحي ـ كما يخيل الى البعض ـ أقل اهمية ، بل على العكس من ذلك وعلى النقيض منه تماماً ، تصبح ذات اهمية مضاعفة وذات الحاح تاريخي في سياق ثورة لا بد لها أن تكون علامة من علامات عظمة الشعوب في مسيرتها النضالية الشاقة

إن المقاومة الفلسطينية ، التي اهلتها الظروف والمبادرات الفلسطينية الطليعية لمثل هذه المهمة التاريخية مدعوة ، من خلال هذا الافق الستراتيجي أكثر من اي شيء ، الى تفجير الثورة الكبرى .

ودون مثل هذا الافق الستراتيجي ، والذي على أساسه ينبغي لأي عمل تكتيكي ان يضبط وجهته ، فان المقاومة الفلسطينية مرشحة عند ذلك لان تظل في مرحلة الركود . ولا ريب ان استطالة مرحلة من هذا النوع تؤدي الى انخفاض الاقبال على المقاومة ، وسيتحول تأييد القوى الوطنية والتقدمية العربية للمقاومة العربية ، بالتدرج ، الى اعتبارها « ورقة توت » تستر جزءاً من عري هذه القوى أمام جماهيرنا دون أن تلزمها بممارسات عملية ثورية في مستوى برنامج المقاومة .

وكما جعلت الانظمة العربية من المقاومة الفلسطينية « ورقة التوت » التي تستر العري الذي أصابها في هزيمة حزيران ، فان الأحزاب والفصائل والتشكيلات الوطنية العربية مرشحة لأن تسلك الطريق نفسه ان لم تفتح المقاومة المسلحة أمامها باباً للانتساب الفعلي لحركتها الصاعدة الدؤوبة ، ولاستراتيجيتها التي تضع للقضية الفلسطينية أفقها النضالي الجماهيري العربي ، وان لم تدفعها ـ بتقديم المثال وبالجدل وبالبرنامج ـ الى لعب دورها التاريخي .

ومن هنا فان حركة المقاومة الفلسطينية مطالبة بان تحول دون ان تستخدم من قبل الانظمة العربية أو من قبل الفصائل والاحزاب العربية « ورقة توت » تبرىء تلك الانظمة من هزيمتها ،

وتبرىء تلك الأحزاب من مسؤولياتها المستقبلية أمام جماهيرها ، وهذا وحده هو قيمة المثال اليومي الذي تقدمه حركة المقاومة ، اذ انها عبر ذلك المثال تقدم مستوى نضالياً ملزماً ، وقياساً لبرامج الأحزاب والقوى العربية الوطنية والتقدمية وتدعوها لحمل السلاح ضمن ذلك الأفق الاستراتيجي الذي يطل على ثورة عربية كبرى تضحي المعركة الفلسطينية عندها مرتبطة عضوياً بمبدأ بناء هانوي أو هانويات عربية ، وتضحي هانان القضيتان ملتحمتين بصورة تستعصي على الانفصام .

يجب دفع هذه العملية الجدلية الى ذروتها بالكفاح المسلح ، ويجب العمل بكل قوة لترجيح ميزان القوى الراهن لمصلحة القوى الوطنية والتقدمية العربية والفلسطينية ، وعلينا ان نعترف منذ البدء بان ذلك كله يصبح مستحيلاً ، وضرباً من الوهم ان هو لم ينطلق من الايمان بان المعركة هي حرب طويلة الأمد ، تقودها القوى الجماهيرية الطليعية ، على مستوى الوطن العربي كله .

ولا يبدو انه يوجد ظرف يحتم الشروع في تنفيذ هذا البرنامج أكثر من الظرف الراهن ، ولا يبدو انه يوجد مدخل للشروع في هذا التنفيذ أكثر ملاءمة من الظرف الراهن ، ولا يبدو انه يوجد اداة تبادر الى هذه النقلة أكثر اهلية من حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة ، ولا يبدو انه يوجد دليل عمل اكثر وضوحاً وفعالية من الماركسية اللينينية ، ملتحمة التحاماً خلاقاً مع التراث النضالي للقومية العربية .

إن المواجهة في ظرفها الراهن ليست اكثر من « حالة ثبات » على تلك الاميال المئة في غور الأردن (اذا استثنينا القيمة الكبيرة للمقاومة العنيفة المحتدمة في قطاع غزة) ـ هي كذلك ان نحن لم نعتبرها كبسولة لغم هائل القوة والفعالية مزروع في قلب هذه القارة العربية الشاسعة،واذا نحن لم نستخدم هذه الكبسولة لتفجير ذلك اللغم .

فكيف يمكن لذلك كله ان يتحقق ، على ضوء الوضع العسكري الراهن للمقاومة ؟ بل ـ قبل ذلك ـ ما هو الوضع العسكري الحقيقي للمقاومة الان قياساً على مهامها وشعاراتها ؟

عسكرياً تهدف المقاومة المسلحة ، شأنها في ذلك شأن جميع حروب التحرير الشعبية ، الى خلق جملة تناقضات قاتلة في معسكر العدو :

ان تجبره على التجمع لضربها فتنتشر وتضربه في كل مكان ، وان ينتشر ليضربها في كل مكان فتتجمع لضربه في أضعف حلقاته . ان ترغمه على التقدم لتتراجع ، فاذا ما انهكته ضربته ، واذا تراجع قضمت خطوطه الخلفية ، واذا ما توقف حاصرته ، واذا حاصرها اختفت . ان تمنع عنه اقصى ما تستطيع من عون ، وان توسع هوة تناقضاته مع جماهير الاراضي التي يحتلها ، ومن ثم تؤدي خسائره ومناخ القلق والانهاك الذي يعيشه الى توسيع التناقض واحتدامه داخل مجتمعه ذاته . ومقابل هذا التفكك في قوته وطاقاته ، تستنفر المقاومة قوتها وطاقاتها بتوطيد علاقاتها على جميع المستويات بجماهيرها ، ويخل ذلك كله بميزان القوى ، ويقلب القليل الى كثير والضعف الى قوة ، والدفاع الستراتيجي الى هجوم استراتيجي .